الأستاذ: النذير ضبعي

السنة: أولى ماستر

المادة: آليات الحجاج

التخصص: نقد حديث ومعاصر

المحاضرة رقم01 من 12

عنوان المحاضرة: تعريف الحجاج

تاريخ الإرسال:2020/04/04

تعريف الحجاج

ارتبط الحجاج بالإنسان منذ القديم حتى صار فيه جبلّة تغذيها النزعة الذاتية تجاه ما يواجهه من مواقف وأحوال في حياته اليومية؛ ذلك لأن الإنسان لديه رغبات وميولات نفعية يسعى إلى الدفاع عنها بشكل تلقائي بما يمتلكه من مؤهلات فكرية وملكات إدراكية وكفاءات منطقية.

وإذا كان ظهور الحجاج مرتبطا ببروز الوعي الإنساني فإن نظرياته لا تزال في التأسيس والتشكل إلى يومنا هذا، فهي تشهد كل يوم ظهور مؤلفات جديدة تغني هذه النظرية وتثريها، ولعل هذا يعزى إلى سعة موضوعه وتعدد مشاربه، وتداخله مع علوم معرفية مختلفة كالفلسفة والمنطق، والبلاغة واللسانيات، مما جعل كل باحث ينطلق في دراسته من ميدان تخصصه.

1- الحجاج لغة:

جاء في لسان العرب: "يقال حاججته حجاجا ومحجة وحججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها، والحجّة البرهان، وقيل: الحجة ما دفع به الخصم. وقال

الأزهري: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وهو رجل محاجج أي جدل، وحجه يحجه حجا غلبه على حجته"[1].

وجاء في القاموس الفقهي: "حاجة محاجة وحجاجا؛ أي جادله"[2].

وعليه فإن الحجاج في اللغة مجاله الغلبة والبرهان والمنازعة والمجادلة، ومحاولة والانتصار في الرأي.

2- مفهوم الحجاج اصطلاحا:

المقصود بالحجاج هو تقديم الحجج والأدلة اللغوية المؤدية إلى نتيجة ما، ويتمثّل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، أو إنجاز متواليات من الأقوال بعضها هو بمثابة حجج، والبعض الآخر هو بمثابة النتائج[3].

وعليه فإن المقولة الحجاجية تتضمن صنفين من العبارات اللغوية بعضها يشكل حججا، والبعض الآخر يشكل نتائج لتلك الحجج.

ولمعرفة الحجاج "يستوجب التفريق بينه وبين البرهنة أو الاستدلال المنطقي، فلفظة الحجاج لا تعني البرهنة أو إثبات شيء ما، ولا تتّبع طرق الاستدلال المنطقي"[4]، ويمكن أن نفرق بين الحجاج والبرهنة فيما يأتي:

أ- البرهنة:

- كل جريمة يعاقب عليها القانون.

- السرقة جريمة.

---

[1] – ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، مادة حجج، ج1، ص226.

[2] – سعدي أبو حبيب، القاموس الفقهي، دار الفكر، دمشق، ط2، 1988، مادة "حج"، ص76.

[3] – ينظر: أبو بكر العزاوي، الحجاج والمعنى الحجاجي، مقال ضمن كتاب التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 134، مطبعة النجاح، الدار البيضاء،2006، ص 57.

[4] - أبو بكر العزاوي، التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه ، ص 56.

– النتيجة: السرقة يعاقب عليها القانون.

ب– **الحجاج:** إذا أراد المتكلم أن يقنع السامع بأن الجو سيكون حارا يأتي بالحجة الآتية:

– الحجة: السماء صافية.

ليصل إلى النتيجة:

– النتيجة: سيكون الجو حارا هذا اليوم.

نلاحظ في الأمثلة "أ" أنّ استنتاج السرقة يعاقب عليها القانون حتمي لأسباب منطقية، أما استنتاج ارتفاع درجة الحرارة في الأمثلة "ب" يقوم على معرفة العالم، وبذلك فهو استنتاج احتمالي، قد يتحقق، وقد لا يتحقق.

وتتسم الحجج اللغوية بعدة خصائص منها:

أ– سياقية: يلعب السياق دورا هاما في منح الحجة طبيعتها الحجاجية، فقد تكون العبارة حجة في سياق، ولا تكون كذلك في سياق آخر، وهو ما ينطبق على النتائج أيضا، فهي تتعدد بتعدد السياقات التي ترد فيها الحجة، ويمكن أن نستشهد على ذلك بالبيت الشعري الشهير، الذي هجا به الشاعر الأموي جرير الراعي النميري وقبيلته:

فَغُضَّ الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

يتضمن الشطر الأول نتيجة مفادها: "غض الطرف"، وحجة تخدمها وهي: "إنك من نمير"، وقد كان لكلام جرير من القوة والسلطان ما جعل أفراد قبيلة الشاعر النميري

يغضون الطرف فترة من الزمان، غير أن عبارة "أنت من نمير" لن تكون حجة دائما، فلو استخدمت في سياق آخر كالتعارف مثلا سيفقد هذا القول قوته الحجاجية، وبذلك فإن السياق هو الذي أكسبها طابعها الحجاجي[5].

ب–النسبية: هناك حجج قوية وأخرى ضعيفة فلكل حجة قوة حجاجية معينة، فقد يقدم المتكلم حجة ما لصالح نتيجة معينة، ويقدم خصمه حجة مضادة أقوى منها[6].

ج– الحجة قابلة للإبطال: إذا كان البرهان المنطقي والرياضي مطلقا وحتميا لا يقبل الإبطال، فإن الحجة اللغوية نسبية ومرنة، تقبل الإبطال، وذلك بحجة أقوى منها.

كما أن الحجاج عرضة للتغيّر والتحوّر، وهذا لعدة عوامل منها: تغير المقام، وتبدل ظروف المتكلم، حتى وإن ظل موضوع النقاش ذاته[7]، ويمكن توضيح ذلك فيما يأتي:

- تحصل محمد على شهادة البكالوريا.

فهذه حجة تثبت اجتهاده.

ويمكن نقض هذه الحجة في موضع آخر، وذلك بقولنا:

- تحصل محمد على شهادة البكالوريا، التي تحصل عليها الملايين، وللحظ دور هام فيها.

وبذلك فإن الحجة عرضة للتبدل والتغير.

ويهدف الحجاج إلى الإقناع، ولهذا الأخير مجموعة من المسوغات منها[8]:

---

[5] - ينظر، أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، الطبعة الأولى، 2006، ص 129-127.
[6] - ينظر، أبو بكر العزاوي، التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، ص 59.
[7] - ينظر، عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 461.

أ- تأثيره في المرسل إليه أقوى، ونتائجه أثبت وأبقى؛ لأنه لا يشوبه فرض بالقوة.

ب- يعتبر الإقناع الهدف الأسمى لكثير من أنواع الخطابات، فالمرسل يفضل استعمال الإقناع ولو كان ذا سلطة تخوّله استعمال طرق أخرى.

ج- شمولية الإقناع: فهو يمارس على جميع الأصعدة، فالحاكم يحاول الإقناع، والفلاح كذلك...، هذا ما يعزز انتماءه إلى الكفاءة التداولية للإنسان السّوي، بوصفها دليلا على مهاراته الخطابية.

د- تحقيق الكثير من الأهداف التربوية، فقد استخدمه الأنبياء لهداية الناس.

وكي يتمكن الحجاج من أداء وظيفته الأساسية وهي الإقناع والتأثير لابد من توفر جملة من الشروط الضرورية وهي[9]:

- ينبغي على المحاجج السعي إلى إظهار الحياد؛ أي الإيهام بأنه لا ينحاز إلى رأي بعينه، ولا يتعصب لموقف محدد، وأن ما يعرضه في الخطاب هو واقع لا مراء فيه، وحقيقة لا سبيل إلى دحضها، فالمحاجج يختفي وراء قناع المحلل الرصين، الذي يعرض الأحداث بموضوعية وتجرد تامين، فيظهر الخطاب شفافا في ظاهره، وفي باطنه حجاج وإقناع.

- التناغم البيّن والانسجام الجلي بين مفاصل الخطاب ومختلف مكوناته، فلا مكان للتناقض في الخطاب الحجاجي؛ لأنه رسم بياني لعالم مصغر، عالم يقنع ويؤثر ويفعل في المتلقي، فلا تخالف نتائجه مقدماته، ولا تناقض أوائله أواخره، ولا

---

[8] - ينظر، المرجع نفسه، ص 446.

[9] - ينظر: المرجع السابق، ص36—37.

تعارض دقائقه عمومياته، هذا التناغم يتسم بطابعه العملي، ذلك أنه لا يفهم خارج مفهوم التطابق مع تلك الأوضاع الخارجية التي يتخذها مرجعا له، فيتحرك داخلها.